الإسلام والمستشرقون

إبراهيم مصبّح

هكذا كتاب أخرجه مؤلفه أول الأمر ليرد به شبهات حول الإسلام جاءت في الموسوعة الثقافية التي تصدرها منظمة اليونسكو. ولكن الحديث امتد زيادة على ما جاء في موسوعة اليونسكو فتناول آراء أخرى كتبها مستشرقون آخرون عن الإسلام، وخصص جزءا منه للرد على المستشرق المجري «جولد زيهر» وبذا استحق الكتاب اسمه «الإسلام والمستشرقون» لأنه رد على عدد من المستشرقين.

هذا الكتاب من تأليف الدكتور عبد الجليل شلبي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.. وأهم ما يتحامى فيه هو خلوه من الانفعال والمغالفة. فالمؤلف لا يغضب حين يجد اتهاما بأن النبي محمد صلى الله ﷺ، نقل الإسلام من عند من الديانات، أو يجد من يصفه بأنه كان قارئا كاتبا، وأنه بسبب مقدرته على القراءة والكتابة. استطاع أن ينقل هذه المعلومات، أو أن يقول مستشرق مثل رات إن محمدا لم يكن نبيا دائما، ولكنه ينفعل بأفكار خاصة فيصوغها قرآنا، أو أن يقول مستشرق مثل «كارليل» وهو قد مجد النبي محمدا في مواقف كثيرة - إن القرآن أسلوب ركيك متهالك لولا ما يوجبه المنهج العلمي على الباحث الأوربي من وجوب قراءته ما استطاع على ذلك صبرا.

● كل هذه الاتهامات وغيرها يعرضها هذا الكتاب في هدوء وصبر، ثم يبدأ يردها ردا منطقيا هادئا يعتمد على الحجة ولا يجنح إلى السباب والشتائم.

وبهذا المنهج بدأ الدكتور عبد الجليل شلبي مؤلفه بالحديث عن مهد الإسلام والحضارات القديمة التي أحاطت بالجزيرة العربية، وأنها كانت بعيدة عن وسط الجزيرة الذي نشأ فيه محمد. ثم لجأ إلى الأحداث التاريخية الثابتة التي تؤيد وجهة نظره وتعارض آراء المستشرقين.

وخص القرآن من هذا الكتاب فصل مستفيض يؤكد بلاغته وإعجازه. والقرآن الذي نزل قبل هجرة النبي إلى المدينة يسمى القرآن المكي، والذي نزل بعد الهجرة يسمى القرآن المدني سواء كان نزوله بالمدينة أو بغير المدينة.

وأسلوب القرآن المكي أسلوب قوي عنيف يختار العبارات الموحية والألفاظ القوية، وعباراته التهديدية رهيبة مؤثرة. أما أسلوبه القصصي ففيه لين في سرد الحوادث ولكن العبارات التي يعقب بها ذات رصانة وإيجاز وقوة. والقرآن المكي شديد التركيز على دعوة التوحيد، يجادل المشركين ويحط من شأن آلهتهم. ولكنه يعتمد على الحوار المنطق ويدعو الخصوم إلى التفكير وإعمال العقل.

«إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم. فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين. ألهم أرجل يمشون بها، أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون».

وتناول القرآن آلهة المشركين - من أصنام وكواكب وغيرها - بالزراية والاستخفاف من مثل قوله: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون».

أما القرآن المدني فقد احتوى كل مسائل التشريع الإسلامي من العبادات والمعاملات وشئون الأسرة. كما نص على آداب اجتماعية كثيرة من حسن التخاطب والاستئذان عند الدخول، واختيار أوقات الزيارة، والبر بالوالدين والإحسان إلى الضعاف واليتامى. ونعكس هذه التعاليم الاجتماعية ما كان عليه العرب من تأخر وبعد عن المدنية قبل ظهور الإسلام كما نبه، عما للإسلام من فضل في إنهاض هؤلاء المتخلفين. وهو وحده كاف في الدلالة على صدق محمد صلى الله ﷺ، لأنه هو نفسه عربي نشأ بين هؤلاء الذين علمهم وما كان تاريخه يؤهله لمثل هذا التشريع الواسع والأدب الرفيع، وهو لم يخرج من بلده ليتعلم في جامعة أو يتلقى مبادئ فلسفة ونواميس رقي وحضارة. فمن أين ذلك التعليم؟

أما بقاء القرآن الكريم وعدم ضياع شيء منه أو تغيير أي كلمة فيه. فهذا أمر مكفول، لأن القرآن حفظ بدقة منذ نزوله ومن معجزات الرسول ﷺ أنه كان لا ينسى شيئا مما يوحى إليه.

وفي القرآن الكريم: «سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله» وفيه: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

وتسير بنا القافلة عبر الكتاب.. يقول المؤلف: لقد نشأ محمد ﷺ أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وهذا لا شك فيه ولا غرابة. وقد تشكك «ألفريد جيوم» في أمية محمد وقال: إنه كان تاجرا ولابد للتاجر أن يقيد حساباته، وهو استنتاج لم يبين على حجة، إذ كان هناك تجار كثيرون لا يعرفون القراءة والكتابة. ولقد فهم «جولد زيهر» أن اختلاف القراءات يرجع إلى ما كانت عليه الكتابة من عدم النقط والشكل فكانت تلتبس الكلمات على القارئ، من مثل «فتبينوا» و.. «فتثبتوا». ومثل تستكبرون «و» وتستكثرون وهو فهم خاطئ، كل الخطأ، لأن هذه القراءات كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ. ونرأ

● د. عبد الجليل شلبي

أصحابه القرآن بوجوه متعددة. ومن الروايات التي رويت عنه كانت القراءات. والقرآن الذي نقرؤه الآن هو القرآن الذي قرأه الرسول على أصحابه. وأملاه على كتاب وحيه، لم يضع منه شيء، ولم يزد عليه شيء.

وفي هذا الصدد يتعرض الكتاب وجهات عديدة. للمستشرقين ويضم إليهم المؤرخ الشرقي «نيليب حتى» لأن له كتابا بالانجليزية سماه «الإسلام أسلوب حياة» وفيه وصف النبي محمدا بغير ما وصفه في كتابه «تاريخ العرب المختصر» الذي أثنى فيه على القرآن ثناء بالغا وقال: إنه يأخذ بقلوب سامعيه لما فيه من قوة التركيب وحسن اختيار الألفاظ وتأليف النغم ثم يعود في كتاب آخر، فيقول: إن محمدا استقى معلوماته من مصادر كثيرة منها صاحباه صهيب الرومي وسلمان الفارسي وزوجه مارية القبطية. وفي الحقيقة أن المستشرقين لا يؤمنون بما يقولون وإنما هو كلام يجارون به هواهم أو يجارون به الأوساط التي تستريح لهذا الكلام.

والإسلام دين سمح يساير الحياة، ولا يكلف الناس ما يشق عليهم، فهو لا يحرم عليهم المطاعم الطيبة ولا الاستمتاع بجميل الثياب ولا المتع البريئة أيا كان نوعها، ولكنه يكره الإسراف والغلو ولا يحب الانغماس في الترف انغماسا يضعف الشخص عن العمل ويجعله يعتمد على غيره، حتى دور العبادة يباح للمسلم أن يستمتع فيها بكل زينته ولا بأس عليه في ذلك. والإسلام لا يرضى الرهبنة ممن هو قادر على العمل والكسب لأن الإسلام يدعو للعمل ويعتبره عبادة، وفي القرآن: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».. هو الذي جعل لكم الأرض ذللا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه والإسلام يبيح التجارة والمضاربة ولكنه يحرم الربا لأنه ينافي المروءة والتعاون الانساني فهو نوع من أكل أموال الناس بالباطل والإسلام ينهى عن قبول مال فيه شبهة الربا، ويحتم أن يكون المال حلالا صافيا.

وعبر القافلة مع الكتاب.. يؤكد أن الإسلام دين التوحيد المطلق. وكلمة الإسلام تعني الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وهي بهذا المعنى ديانة إبراهيم عليه السلام وديانة الأنبياء السابقين جميعا. ومحمد ﷺ ككل الأنبياء بشر تلقى وحيا من الله تعالى وهو النبي الخاتم وبرسالته انتهت رسالات السماء. ورسالته عامة خالدة، كان كل نبي قد أرسل لأمة معينة ولزمن محدود، ولكن محمدا ﷺ، أرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. ورسالته باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

●●●

إننا نطالب منظمة اليونسكو بتغيير رأيها ومنهجها بما تقدم لها من حقائق الإسلام فقد صحح لها خطأ يؤخذ عليها في شتى الأماكن والمراكز العلمية.. وواجبها أن تبادر بشر وجهة النظر الإسلامية حفاظا على حيدتها ومكانتها العالمية..

حدث فى

قانون الإسكان الجديد

مناقشات ساخنة تدور رحاها اليوم فى مجلس الشعب حول قانون الإسكان الجديد. ولقد تعددت المناقشات من مجلسين لمحت القبة إلى الجماهير نفسها فى المنازل والمصالح والقواعد الحزبية بهدف تجميع الآراء والاقتراحات ليخرج القانون معبرا عن المصالح العريضة للجماهير.

ومن السمات الرئيسية فيما أنها تدور حول ما ينبغى أن يتضمنه القانون الجديد من حل لمشاكل خلو الرجل والشقق المفروشة ومقدم الإيجار والمياه وطرد السكان وعقد الايجار والتمليك والإيجار من الباطن وغيرها.. وكان من نتيجتها أن توقف الذين يبنون عن استكمال بناياتهم، وأحجم الذين فى نيتهم البناء عن الإقدام عليه. وأصبح الملاك والسكان فى انتظار القانون وخروجه إلى حيز الوجود أملين أن يكون البلسم الشافى والدواء الناجع والحزام الواقى لكل ما بينهما من خلافات موجودة أو مستقبلية..!!

والحقيقة أن هذا القانون ينصب أساسا على حالات قائمة بالفعل ويدور حول ضبط موازين المصالح المشتركة بين الملاك والمستأجرين وينظم العلاقات وطريقة إخلاء أية شرارات قد تحدث من تصادم المصلحين.. أى يتضمن مواد معدة للقاضى للفصل بين أناس قاطنين بالسكن..!!

بيد أنه ونحن فى غمار هذه المناقشات الساخنة حول القانون أرى أننا نسينا أو تناسينا الشكلة الأعظم والأعم والخاصة بأناس لم يجدوا السكن بعد.. وكان من الأجدر أن تتحول الأنظار والعقول إلى مناقشات أعمق وأشمل حول المشكلة الرئيسية ذاتها وأعنى بها أزمة المساكن وضرورة توافرها للجميع، والتى أصبحت شبه مستحكمة بسبب التزايد الرهيب فى السكان وكثرة الخريجين والمتطلعين لتكوين أسر سعيدة وعدم توافر مواد البناء وجودها فى السوق السوداء وكثرة الطلب وقلة المعروض من الشقق وضيق رقعة الأراضى الصالحة للبناء والارتفاع الرهيب فى ثمن الأرض وإحجام رءوس الأموال عن مشروعات البناء خوفا من اللجان وقوانين الإسكان نفسها.

وباختصار فإن القانون الجديد للإسكان والمطروح للمناقشة لن يحل أزمة المساكن.. وإذا كان الجميع ينتظرون منه العجب أو المعجزة فقد انتهى عهد المعجزات ولم يبق إلا أن نتبصر الحقيقة برؤية موضوعية وجدية عميقة حتى لا يخرج إلينا قانون لاهم له إلا حل جزئيات فرعية من المشكلة ذاتها!!

لهذا أطالب أن توجه أنظارنا ومناقشاتنا إلى كيفية الخروج من هذه الأزمة الطاحنة. بأن نتوجه إلى صحرائنا الشاسعة لنجعلها آهلة بالسكان وجنات خضراء، وأن نوعى شبابنا بضرورة غزو الريف والمناطق النائية والعيش فيها بعيدا عن مشاكل الزحام وشد الأعصاب، والإقلال من طلب الهجرة إلى القاهرة وأن نشجع استثمار الأموال فى البناء. ووضع كافة التسهيلات والضمانات وأن نجعل المساكن الجاهزة حقيقة لا فكرة تبرق وتختفى دون أن تظهر فى مجال الرؤية..

ولا شك أن ما أعلنه الرئيس السادات من إقامة المجتمعات الجديدة بالقرب من القاهرة والإسكندرية وتعيين مسئول للإشراف على تنفيذها يعتبر بحق خطوة واسعة وذكية على طريق حل مشاكلنا الكبيرة. لأن هذه المجتمعات ستكون صناعية وزراعية وسكانية ومن ثم ستوفر الطعام وفرص العمل والسكن وهذه أعتى المشاكل التى تواجهنا.. أما مشاكل الخلو والمياه التى يدور حولها النقاش اليوم فهى جزئيات فردية وتقع مسئوليتها بين مالك ومستأجر. ومسئوليتنا الجماعية العامة هى أن نتشاور ونتناقش حول كليات وأساسيات للنهوض بمجتمعنا حتى يجد كل راغب السكن ويجد كل مالك المواد والأرض.. فالمواطن العادى لا يريد أن نرسم له كيفية علاقته بالمالك وأسلوب حياته فى الشقة.. ولكن يهمه أولا أن يجد الشقة ويعثر على المالك!! وبهذا يكون الطريق الصحيح لخدمات الجماهير!!

جلال عبد البارى

شركة بيراميدز للسياحة
PYRAMIDS TOURS
بالاشتراك مع ايرفرانس
AIR FRANCE
تقدم ١٥ يوما نصف إقامة بفنادق الدرجة الأولى
• نيس - مدريد - بالمادى مايوركا
باريس - لندن
٤٦٠ جـ
• نيس - أمستردام
باريس - لندن
٤٦٠ جـ
• باريس - استكهولم
كوبنهاجن - لندن
٥٤٠ جـ
للاستعلامات:
شركة بيراميدز للسياحة
القاهرة: ٤ ميدان طلعت حرب ت: ٩٧٠٥٤٦/٩٧٠٥٤٧/٩٧٣٦٢٢
الاسكندرية: ٥٧ شارع صفية زغلول ت: ٢١٩٩٩
الأقصر وأسوان: مرسى بواخر بيراميدز للسياحة النيلية